أسماء الله الحسنى

السميع جل جلاله

اللقاء العشرون

معرفة الله جل وعز بأسمائه وصفاته زيادة في الإيمان واليقين، وتحقيق للتوحيد، وتذوق لطعم العبودية، وهذا هو روح الإيمان وأصله وغايته، وأقرب طريق إلى ذلك تدبر صفاته وأسمائه من القرآن، فإن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته وجمع قلبه على محبته، شرح صدره لقبول صفاته العلا، وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول، وتلقَّاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد؛ فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلأ به سرورًا ومحبة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها؛ لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته جل وعز، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا، وشرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد، والله يُنْزِلُ العبد من نفسه حيث يُنْزِلُه العبدُ من نفسه. ابن القيم

العبودية درجات وأعلى مراتبها: الإحسان؛ أن تعبد الله كأنك تراه، وهذه المرتبة طريق لرضا الرحمن وفردوس الجنان ونعيم القبر وسلامة من سخط الله وعذابه، وإن مما يعين على الترقي في مرتبة الإحسان امتلاء القلب بمعاني الأسماء الحسنى واستشعارها، ووقفتنا اليوم مع اسم من الأسماء الحسنى، استشعاره يملأ القلب أُنساً بالله، وتذكره وذكره وشكره وحسن عبادته! ولقول كل كلمة طيبة، واستشعاره له يقيّد اللسان عن الغيبة والنميمة واللعن والسخرية والكذب وفحش الكلام! وعموم ذنوب اللسان " وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم"!

✉حديثنا عن اسم الله السميع.....

✉الحمدُ للهِ الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصواتَ، فلا تَخْتَلِفُ عليهِ أصواتُ الخلقِ، ولا تَشْتَبِهُ عليهِ ولا يَشْغَلُهُ منها سَمْعٌ عنْ سَمْعٍ، ولا تُغْلِطُهُ المسائلُ، ولا يُبْرِمُهُ كثرةُ السائِلِينَ.

📣ورود الاسم في القرآن الكريم:

📝ورد اسمه تعالى السميع في القرآن خمسًا وأربعين مرة؛ مما يدل على أهمية الاسم لا شك.

منها قوله تعالى: ".. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [البقرة:127] وقوله سبحانه وتعالى: " قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [المائدة:76].

📝وجمع بين اسمه تعالى السميع والبصير في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: " مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " [لقمان:28].

📝وجمع بينه وبين اسمه تعالى القريب، في قوله: ".. إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ " [سبأ:50].

📝المعنى اللغوي للاسم: السمع للإنسان وغيره: حس الأذن، أو ما وقر في الأذن من شيء تسمعه، ورجل سميع: أي سامع، ورجل سماع: إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق كقوله تعالى: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) (المائدة: 41).

📣معنى الاسم في حق الله تعالى:

📜قال ابن جرير رحمه الله: وقوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: 11] يقول جل ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه، السميع لما تنطق به خلقه من قول.

📜قال ابن كثير رحمه الله: السميع لأقوال عباده.

📜وقال الخطابي رحمه الله: (السميع) بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناؤه فعيل، بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر. وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت.

📝والسماع قد يكون بمعنى القبول والإجابة ... فمن معاني السميع: المُستجيب لعباده إذا توجهوا إليه بالدعاء وتضرعوا ... كقول النبي -ﷺ-: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، ومِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ ... " [صحيح الجامع] أي: من دعاء لا يُستجاب.

📣 إن السمع الذي اتصف به ربنا - عز وجل - ينقسم إلى قسمين: سَمْعُ إِدْرَاكٍ وسَمْعُ إجابةٍ:

❶ فأما المعنى الأول سَمْعُ إِدْرَاكٍ:

✉فهو المدرك لجميع الأصوات مهما خفتت، فيستوي عنده السر والجهر، والإعلان والنجوى، وسمعه -تعالى- صفة له لا يماثل أسماع خلقه.

✉ولا يعزب عن إدراكه -تعالى- مسموع وإن خفي، فيسمع السر وما هو أخفى من السر، قال -عز من قائل-: (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه:7]، فقد وسع سمعه الأصوات كلها، فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشتبه، ولا يشغله منها سمعٌ عن سمع، بل يميز كل صوت مهما اختلفت اللغات وتنوعت الحاجات وكثرت الأصوات وتداخلت الكلمات والعبارات... (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [الملك:13].

وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: كُنَّا مع النبيِّ -ﷺ- في سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بالتَّكْبِيرِ، فَقالَ النبيُّ -ﷺ-: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا علَى أَنْفُسِكُمْ، إنَّكُمْ ليسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا "صحيح مسلم، فإنه -سبحانه وتعالى- يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويسمع حمد الحامدين ودعاء الداعين وكلام المتكلمين.

❷أما المعنى الثاني سَمْعُ إجابةٍ:

فهو المستمع لعبـــاده إذا توجهوا إليـــه بالدعـــاء والمستجيب لهم، وعليه قول رسول الله -ﷺ-: " اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من علْمٍ لا ينفعُ ، و عَمَلٍ لا يُرفَعُ ، و دعاءٍ لا يُسْمَعُ "(صحيح الجامع)، قال السيوطي: "أي لا يستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع، يقال: اسمع دعائي، أي: أجبه؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول" (مصباح الزجاجة، للسيوطي)، ومنه قول الإمام في الصلاة: " سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ "، قال العلماء: "معنى سمع هنا: أجاب، ومعناه: أن من حمد الله -تعالى- متعرضًا لثوابه استجاب الله -تعالى- له وأعطاه ما تعرض له" (شرح النووي على صحيح مسلم).

كقول إبراهيم ﷺ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [إبراهيم:39]؛ فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} أي: لقريب الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي. السعدي

❍فهذا من السمع الخاص؛ لأن سمعه -تبارك وتعالى- منه ما هو خاص، ومنه ما هو عام، فهذا سمع الإجابة، والقبول، وليس بالسمع العام.

يقول ابن القيم في قصيدته النونية:

وهو السَّميعُ يَرى ويَسْمعُ كلَّ ما ... في الكون من سِرٍّ ومن إعلانِ

ولكلِّ صوتٍ منه سمعٌ حاضرٌ ... فالسِّرُّ والإعلان مستويـــــانِ

والسَّمعُ منه واسعُ الأصواتِ لا ... يخفى عليه بعيدُهـــا والدانـــــي [النونية] .

سبحانه السميع العليم لا يشغله سمع عن سمع ولا صوت عن صوت، يسمع دعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم وعند اجتماعهم! ولا تختلف عليه اللهجات ولا اللغات، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، وقد يعجز القائل عن التعبير عن مراده، والله يعلم ذلك فيعطيه الذي في قلبه، بل لو قام الجن والإنس كلهم من أولهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في صعيد واحد، وسألوا الله جميعا في لحظة واحدة، وكل عرض حاجته، وكل تحدث بلهجته ولغته لسمعهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت أو لغة بلغة أو حاجة بحاجة، ففي الحديث القدسي: "يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألتَه، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ "(رواه مسلم)

آثـــار الإيمـان باسمه السميـــع:

❶إثبـــات صفة السمع له سبحانه وتعالى كما وصف الله عزَّ وجلَّ نفسه: فهو سبحـــانه سميع ذو سمع، ونحن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه بلا تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ... يقول تعالى: (... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11].

قال السعدي: أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. {وَهُوَ السَّمِيعُ} لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. {الْبَصِيرُ} يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

إننا إذا آمنا باسم الله السميع وجب أن نؤمن أيضًا أن سمعه -عز وجل- مطلق لا تحجزه الحواجز ولا تعيقه العوائق التي تعيق سمع البشر، فللبشر سمع لكنه قاصر لا يدرك جميع المسموعات، وسمعه هذا بجارحة هي الأذن، وهي معرضة للأمراض والآفات، بخلاف سمعه -تعالى- المنزه عن الفناء والعجز وعن أن يخفى عليه أي صوت مهما اضمحل.

يسمع بكاء الخاشعين، ونداء المضطرين، وآهات الحيارى، والمظلومين فقد سمع -سبحانه وتعالى- استغاثة يونس -عليه السلام- في ظلمة الليل البهيم، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، قال -تعالى-: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) [الأنبياء:87-88].

وسمع دعاء أيوب فرد عليه عافيته وأهله، (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) [الأنبياء: 84]

وسمع دعاء نوح فنجاه وأهله من الكرب العظيم، (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) [الأنبياء: 76]

وسمع نداء نبينا محمد -ﷺ- حينما رده أهل الطائف.... ففي حديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشة.. يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (... فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَىَّ. ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وسمع -سبحانه وتعالى- وهب بن عمير حين اجتمع هو وصفوان بن أمية في الحجر، فتآمرا على قتل رسول الله -ﷺ- وأن يعول صفوان عيال وهب ويقضي دينه، لا يسمعهما مخلوق، فأطلع الله نبيه -ﷺ-على ذلك، فلما دخل وهب المسجد سأله رسول الله --ﷺ-: "ما أقدمك؟" قال: جئت أفدي الأسرى... قال: "فما شيء قلت لصفوان في الحجر: لولا عيالي ودين علي لكنت أنا الذي أقتل محمدًا بنفسي" (الطبراني)... وكان ذلك سببًا في إسلام وهب.

❷إن سمع الله تبـــارك وتعالى ليس كسمع أحد من خلقه: فسمعه سبحانه وتعالى مُستغرق لجميع المسموعات، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن دق وخفي ... سرًا كان أو جهرًا.

قال ابن القيّم - رحِمه الله -: يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللُّغات، على تفنُّن الحاجات، بل هي عنده كلها كصَوْت واحد، كما أنَّ خلق الخلق جَميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة؛

وَضَجِيجُ أَصْوَاتِ العِبَادِ بِسَمْعِهِ ♦♦♦ وَلَدَيْهِ لا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ

قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: 28]

سمِع -عز وجل- في عليائه شكوى خولة بنت ثعلبة ولم تستطع سمعها عائشة -رضي الله عنها- من وراء ستار من القماش، وأنزل جبريل بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، تقول عائشة رضي الله عنها" الحمدُ للهِ الذي وسِعَ سمعُه الأصواتَ، لقَد جاءتِ المُجادلةُ إلى رسولِ اللهِ -ﷺ-، تُكَلِّمُه في جانبِ البيتِ ما أسمعُ ما تَقولُ فأنزلَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) [المجادلة:1]" (ابن ماجه).

وجاء في السير أن عمر سار يوماً ومعه أبو عبيدة، فلقيته امرأة في الطريق، فقالت: إيه يا عمر! لقد كنت تدعى عميراً تصارع الفتيان في أسواق عكاظ، ثم أصبحت تدعى عمراً، ثم ما لبثت حتى أصبحت أميراً للمؤمنين، فاتق الله يا عمر! واعلم أن الله سائلك عن الرعية كيف رعيتها؟ فبكى عمر بكاءً شديداً، فلام أبو عبيدة المرأة لقسوتها على عمر، فقال له عمر: (دعها يا أبا عبيدة! فهذه التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فحري بـعمر أن يسمع كلامها).

❸لا يستجيب الله تعالى دعـــاء اللاهي والمرائي، إنما يستجيب للدعـــاء الخـــالص:

قال عبد الله بن مسعود: " لا يسمعُ اللهُ من مُسْمِعٍ ولا مُرَاءٍ ولا لاعِبٍ إلَّا دَاعٍ دعا يَثْبُتُ من قلبِهِ " (الأدب المفرد).

اقتران اسم الله السميع باسم الله العليم:

أما اسم (السميع) فهو كثيراً ما يرد مقترناً مع اسم الله العليم، ويمكن أن يقال في وجه هذا الاقتران -والله تعالى أعلم-: إن الله -تبارك وتعالى- يسمع جميع الأصوات على اختلافها، وتنوعها، وهناك ما لا صوت له، فالله -تبارك وتعالى- يعلمه، ويعلم حاله، ويعلم أحوال هؤلاء الذين تصدر منهم هذه الأصوات المسموعة، وهذا كثير في كتاب الله -تبارك وتعالى.

فجاء الاقتران بين السميع، والعليم في أكثر من ثلاثين مرة في القرآن، قال -تعالى-: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة:127]، (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:227]، وفي كل موضع لربما يكون له تفسير يخصه، يعني في مثل هذا المقام، الطلاق له لفظ يعبر به، وله معنى يقصد، فالله -تبارك وتعالى- سميع لما يقوله هؤلاء الذين عزموا على الطلاق، وهو عليم بمقاصدهم، ونياتهم؛ ولذلك الطلاق منه ما يكون صريحاً، ومنه ما يكون من قبيل الكناية، والكناية يسأل قائلها ماذا أردت؟ فالله قد سمع قوله، وهو عالم بمقاصده، فلا يستطيع الإنسان أن يقول شيئاً هو خلاف ما وقع في قلبه، فإن ذلك لا يغني عنه من الله شيئاً، وإذا عرف العبد مثل هذا المعنى فإنه يكون عليه رقيب من نفسه على نفسه، فلا يستطيع أن يتحايل على القاضي، أو على المفتي؛ ليحصِّل فتوى، أو حكماً يتفق مع ما يهواه.

أما اقتران(السميع) بـ(البصير)فقد جاء ذلك في كتاب الله -تبارك وتعالى- في أكثر من عشرة مواضع، كقوله -تبارك وتعالى-: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11]، (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة:1]

فهذان الوصفان السمع، والبصر يدلان على الإحاطة، فلا يخرج شيء من كونه من جملة المسموعات، أو المبصرات، فالله -تبارك وتعالى- يسمع جميع الأصوات، ويرى جميع الأشياء، الخفيات، والجليات فهذا كله يدل على الإحاطة.

وكذلك الاقتران بين السميع، والقريب كما في قوله -تبارك وتعالى-: (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) [سبأ: 50] سميع، قريب، فالله -تبارك وتعالى- يسمع ما يصدر عن العباد، وهو قريب منهم، فإن دعوه (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعَانِ) [البقرة: 186] فهو قريب من الداعين، وهذا هو القرب الخاص، يجيب دعاءهم.

وكذلك حينما يتفوه الإنسان بما لا يرضي الله -تبارك وتعالى- فإن الله قادر على أخذه، لا يحتاج إلى وقت، وزمان حتى يُوصَل إليه، وإنما يأخذه الله -تبارك وتعالى- في أقل من طرفة عين، وهو قادر على أن يهتكه، وأن يفضحه، والله -تبارك وتعالى- يقول: (فَاسْتَغْفِرُوهُ، ثم تُوبُوا إليه إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) [هود:61].

فجمع بين القرب، والإجابة، فإذا رجع العبد إلى ربه، وتاب، وأناب، واستغفر وجد الله قريباً منه، والله -تبارك وتعالى- كما هو معلوم- مع قربه إلا أنه عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه.

وللإيمان باسم الله السميع واستشعاره آثار على المؤمن فمن ذلك:

1)تعظيم الله وتوحيده وإجلاله ومحبته، فربنا الخلاق القدير السميع البصير العليم الخبير والحمد له سبحانه أنا مسلمين نعبده وحده لا شريك له بينما أعداد كبيرة من البشر يعبدون أوثانا لا تسمع ولا تبصر (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً) [مريم:42].

2) دوام الدعـــاء لله تبـــارك وتعالى: فهو سبحانه وتعالى سميع الدعـــاء، فلُذ بربّك والجأ إليـــه بكثرة الدعـــاء ... وخذ بأسبـــاب الإجابة حتى يكون دعـــاءك أحرى للقبول إن شاء الله تعالى.

ادعُ ربَّك وأنت موقن بالإجـــابة، بقلب يقظ غير غـــافل، متحريًا ساعـــات إجـــابة الدعـــاء.

خفض الصوت عند الدعاء وزيادة اليقين، فهذا زكريا نادى ربه نداء خفيا بعد أن شاخ وكبرت سنه فبُشّر بيحيى، وهذا الخليل لم يرزق الذرية إلا على كِبَر، ونجى الله يوسف من كيد النسوة حين دعاه (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [يوسف:34].

3) أكثر من الشكوى لربّك السميع سبحـــانه: كما كان نبي الله يعقوب يقول: " قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ..." [يوسف:86].

وكما كان حال إبراهيم عليه السلام (... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة:114] أي: كثير التأوه، كهيئة المريض المتأوه من مرضه ... فكان كثير الشكاية والدعـــاء لربّه، حَلِيمٌ بين الناس أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه.

فاشكُ حـالك إلى ربّك السميـع البصيـر، الذي يسمع كلامك ويرى مكانك ويعلم سرك ونجـواك.

4) الله تعالى يسمع دعـائك في كل حـال: قال تعالى: (... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) [الإسراء:110] سواءً جهرت بدعائك أو أسررت به، يسمعك الله تعالى... فادعُ بصوت أدعى للخشوع والإخلاص، ولا تتكلَّف.

صلاة الليل وترتيل كلام الرحمن تأمل قوله -تعالى- (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء 217-220].

الأنس بالله والتلذذ بذكره، بل والإكثار من ذلك، تحرك شفتيك وأنت في السيارة أو البيت أو السوق .... أو غيرها بذكر الله بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والحوقلة والصلاة والسلام على نبيه والاستغفار.

5) الله سبحـانه وتعالى يسمع دبيـب قلبك: فالحذر الحذر أن يجد قلبك مُعْرِضًا عنه سبحـانه، مُقبلاً على ما لا يرضى! دوام المراقبـة لله سبحانه وتعالى في السر والعلن: فالمؤمن الموحِد يراقب ربَّه في سره وعلانيته؛ لعلمه أن ربَّه يسمعه من فوق عرشه وأنه عليمٌ بسره ونجواه ... والآية التي ترتعد منها الفرائص، قوله تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) [الزخرف:80].

فإلى أين تذهب يـا مسكيـن؟! ... أتحسب أنك ستنفذ من سمع الله عزَّ وجلَّ وبصره؟! فالصـادق في توحيده لربّه السميـع، لن يسمع إلا ما يحب ربَّه ويرضـاه.

فلتحذر؛ فإن من سمع كل هذا يسمعك في سرك وإعلانك، وفي غدواتك وروحاتك... لذا عليك تجاه اسم الله السميع: أن تحفظ لسانك عن كل ما حرم الله -عز وجل- من المسموعات؛ كالغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والسب واللعن... كذلك تحفظ أذنك عن سماع كل هذا، وعن سماع الغناء المحرم والفحش والخنا.

وأن نوقن تمام الإيقان ونؤمن تمام الإيمان أن الله -تعالى- يسمع جهرنا وعلانيتنا، وأن الألسنة والأسماع ستأتي تشهد يوم القيامة بما اقترفنا، ولا نكون كمن قصَّ علينا ابن مسعود قصتهما قائلًا: " اجْتَمع عِنْدَ البَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، فَقالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ ما نَقُولُ؟ وَقالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ، إنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ، إنْ أَخْفَيْنَا وَقالَ الآخَرُ: إنْ كانَ يَسْمَعُ، إذَا جَهَرْنَا، فَهو يَسْمَعُ إذَا أَخْفَيْنَا، فأنزل الله -عز وجل-:(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) [فصلت:22] الآية" (صحيح مسلم).

6) احفظ سمعك، يستجب الله دعائك: فكما إن الله سبحانه وتعالى سميـع مُجيـب للدعـاء، ينبغي أن لا يسمع العبد سوى ما يحب ربَّه ويرضى... أما إذا صرف العبد حاسة السمع في ما لا يُرضي الله عزَّ وجلَّ؛ كسماع الأغاني والمعازف وسماع المُنكرات أو التجسس على النـاس.. ستكون عقوبته من جنس عمله، فلا يستجيب الله تعالى لدعائه.

وحاسة السمع من أهم الحواس وأقواها في الإدراك ... لذا قدمها الله تعالى في كلامه عن حواس البشر، قال تعالى: (... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

)[الإسراء:36] فينبغي أن يستغلها العبد في سماع دروس العلم؛ حتى تكون المعلومات أسهل في الاستحضار بعد ذلك ، ويحفظ العبد سمعه بالتزامه منهج الله تعالى .

7) من أراد الشهرة وذيـــاع الصيـــت، سمَّع الله به :أي فضحه على رؤوس الخلائـق يوم القيـــامة .. عن جندب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من سمَّع سمَّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به " [متفق عليه] .

نادَيْتُ كنْ لي يا سميعُ فليسَ لي ***- إلا البصيرُ تضمُّني عَيْناه

وَلجَأْتُ للحَكَمِ اللطيفِ فإنهُ ***- عدلٌ خبيرٌ راجياً رَحماه

فهوَ الحليمُ ولا عظيمَ سوى الذي ***- تَطوي السما لمَّا يشا يُمناه

وطلبْتُ إحسانَ الغفورِ فَمَنْ أتى ***- بابَ الشكورِ فجودُه يغشاه

وهو العليُّ هو الكبيرُ من احتمى ***- بحمى الحفيظِ فحفظُه يرعاه

كيف ندعو الله سبحـــانه وتعالى باسمه السميـــع؟

ورد الدعـــاء باسم الله تعالى السميـــع في أكثر من موضع من الكتـــاب والسُّنَّة، منها:

وإذا تجذرت في القلب معاني اسم الله السميع توجه قلب العبد إلى الله -عز وجل-: فما دام -تعالى- يسمع دعاء من يدعوه ويجيبه، فإن العبد سيكثر من التوجه إليه -تعالى- ومن طلب الحوائج... قال -عز من قائل-: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة:186]، وقد علَّمنا نبينا-ﷺ- أن نتوجه إلى الله -تعالى- باسمه السميع العليم صباحًا ومساءً، فعن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: " ما من عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ بسمِ اللَّهِ الَّذي لا يضرُّ معَ اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وَهوَ السَّميعُ العليمُ ثلاثَ مرَّاتٍ إلا لم يضرَّهُ شيءٌ " (زاد المعاد).

وإذا عرف العبد أن ربه سميع توسل إليه باسمه السميع: فالله -عز وجل- يحب من توسل إلى بأسمائه وصفاته، وهذا ما كان يصنعه الأنبياء أعرف الخلق بالله؛

دعـــاء إبراهيم عليه السلام: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة:127].

وتوسل زوجة عمران لربها -عليها السّلام- ليتقبل منها ما في بطنها قائلة:(إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [آل عمران:35]

وتوسل زكريا-عليه السلام- باسم الله السميع ليرزقه الذرية الصالحة قائلًا: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) [آل عمران: 38].

ودعوات الأنبياء لربهم واستجابته لهم في القرآن كثيرة، لا يتسع المقام لحصرها، فأجابهم -سبحانه وتعالى- فهو السميع العليم.

أحبتنا، إيماننا باسم ربنا «السميع»، يجعلنا أكثرَ سؤالًا لربنا، ورفعًا إليه في مطالبنا، وقصدًا إليه في حوائجنا؛ لأنه سميع.

❁فلندعُ ربنا في أي ساعةٍ من ليل أو نهار، في أي لحظةٍ من قوة أو ضعف، ولندعُ ربنا ونحن نتقلب على الفراش، أو نمرّغُ وجوهنا ساجدين بين يديه سبحانه، ولندعُ ربنا في بَرٍّ وبحرٍ وجوٍّ، ولندعُ ربنا على كل حال، فربنا سميع، ولندعُ ربنا بما نحب ونسألُه ما نريد، ولا نحْرِص على لفظة ولغة نظن أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقبل سواها؛ فربنا سبحانه وتعالى سميع.

❁نسأل الله تبـــارك وتعالى ألا يسمع منا إلا ما يحب ويرضى، وألا يطلِّع في قلوبنـــا إلا على ما يُحب.

❁فاللهم يا سميع يا بصير يا من تسمع كلامنا وترى مكاننا .... نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل.

المراجع:

- اسم السميع شرح واسرار الاسماء الحسنى للشيخ هاني حلمي
- الله السميع حسام بن عبد العزيز الجبرين
- اسم الله السميع ملتقى الخطباء - الفريق العلمي
- السميع – البصير خالد السبت